لغة – كلام

مجلة فصلية محكمة

تعني بالأبحاث والدراسات في مجال اللغة والتواصل

تصدر عن مخبر اللغة والتواصل

بالمركز الجامعي بغليزان/ الجزائر

السنة الثالثة. المجلد الثالث. العدد الثالث

ربيع الثاني 1439 هـ – ديسمبر 2017م

ISSN : 2437- 0746

EISSN: 2600-6308

الهاتف: **00213670117979**

http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176

http://www.cu-relizane.dz/images/stories/SiteLabo/SiteLaboTawasol48/Ar-AC.htm

البريد الالكتروني: **laboratoiretawasol48@yahoo.fr**

المدير مسؤول النشر/ رئيس التحرير

د/ مفلاح بن عبد الله

الهيئة العلمية

من الجزائر	من خارج الجزائر
أ.د. ملياني محمد. جامعة وهران 1	أ.د. أحمد حساني. الإمارات العربية المتحدة
أ.د. مونسي حبيب. جامعة سيدي بلعباس	أ.د. لزعر مختار . المملكة العربية السعودية
أ.د. العربي عميش. شلف	أ.د. دلدار عبد الغفور البالكي. العراق
أ.د. حمودي محمد. جامعة مستغانم	أ.د. عبد القادر فيدوح. جامعة قطر
أ.د. ملاحي علي. جامعة الجزائر 2	أ.د. حاتم عيد. المملكة العربية السعودية
أ.د. بوطجين سعيد. جامعة مستغانم	أ.د. بريمي عبد الله. المملكة المغربية
أ.د. حمو الحاج ذهبية. جامعة تيزي وزو	أ.د. سعيد كريمي. المملكة المغربية
أ.د. زروقي عبد القادر. جامعة تيارت	أ.د. ناعيم مليكة. المملكة المغربية
أ.د. عقاق قادة. جامعة سيدي بلعباس	أ.د. ضياء غني العبودي. العراق
ا.د. الشريف بوشحدان جامعة. جامعة عنابة	أ.د. بوقرة نعمان. المملكة العربية السعودية
أ.د. اسطمبول ناصر. جامعة وهران 1	أ.د. عز الدين الناجح. المملكة العربية السعودية

أمانة التحرير

أ. بوقرط الطيب

أ. بويش منصور

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة والتوصل باللغة العربية، مع إمكان النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ إذا رأت هيئة التحرير أهمية ذلك.
2. تنشر البحوث في المجلة بعد أن تخضع لفحص لجنة تحكيم من ذمي الاختصاص، للتقييم وإبداء الرأي في صلاحيتها للنشر أو عدمها.
3. يجب أن لا تزيد عن عشرين صفحة من الحجم العادي (A4).
4. يراعى في تنسيق خط المشاركات الالتزام بالآتي:

في متن النص يستخدم الخط (Amiri) عادي (حجم 15).

في الهوامش يستخدم الخط (Amiri) عادي (حجم 12).

في العناوين يستخدم الخط (Amiri) غامق (حجم 15)

5. تكتب الاحالات والتعليقات جميعها في آخر البحث آليا.
6. تكون الحواشي 2 سم على جوانب الصفحة الأربعة.
7. الجداول والرسومات والمخططات تكون بصيغة JPG
8. تكتب المصادر والمراجع مفصلة في آخر البحث في قائمة خاصة بها، وفق الترتيب التالي: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة، وذلك وفق منهجية الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA).
9. يرفق الباحث ملخصا لبحثه في حدود (80 كلمة)، وكلماته الدالة في حدود (5 كلمات) باللغة العربية والفرنسية أو الانجليزية.
10. يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.
11. يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 15 يوما.
12. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله للتحكيم إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
13. قرارات هيئة التحرير بشأن البحوث المقدّمة إلى المجلّة نهائيّة، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبرّرات لقراراتها.
14. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور سنة على تاريخ نشره في المجلة بشرط أن يشير إلى ذلك.

المحتويات

السميائيات وموضوعها العلامة أم السميوزيس؟ (السميائيات بين فكرة الفعل وفكرة القوة الفاعلة)	عبد الله بريمي	07
حجاجية التكرار في الخطاب السياسي (نص قرار مجلس الأمن 1483 نموذجا)	بلقندوز الهواري	21
دراسة ضعف التعبير الشفوي في المراحل التعليمية	شادلي سميرة، راضي ميمونة بن عبد الرحمن نصيرة،	33
ظاهرة النفي في اللغة العربية (دراسة في التركيب والدلالة)	عائشة بنت عبدالله علي جراح	49
المنافذ.. ومعارج التلقي (قراءةٌ في إشكالية: اللغة الإبداعيّة والفهم)	خيرة بن علوة	69
النّظم من الإعجاز إلى الشعرية (قراءة في الدّرس الجرجاني بين المنجز والمأمول)	كباس عبد القادر	85
دلالة التقديم والتأخير في سورة البقرة (التحرير والتنوير- نموذجا)	بن عزوزي مريم	103
بلاغة تأويل الخطاب القرآني عند القاضي البيضاوي	رحّال هشام	119
صناعة الفكرة في المسرحيّة	بونوة خيرة	141
التماسك التداولي في علوم القرآن	بوغرارة عزيزة	153
الشعرية بين جاكوبسون و محمد مفتاح	غنية بوساحية	173
بناء الشخصية في رواية "شعلة المايدة" لمحمد مفلاح	هشام بن سعدة	203
الفصل و الوصل عند عبد القاهر الجرجاني(نحو بلاغي أم بلاغة نحوية؟)	كركاعي هشام	221
اللّثغة بين يعقوب الكنديّ وابن البناء (في بيان المفهوم والعوارض وعلاج العلل)	آسية لوحيشي	239
ثنائية الموت والحياة في الرواية الجزائرية المعاصرة (قراءة في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي)	جميات منى	251
الشعر العربي بين الأصالة والمعاصرة	عطاطفة بن عودة	263
التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية عند باختين(التجليات والدلالة)	وديجى رشيد	273
المصطلح اللساني عند عبد القادر الفاسي الفهري بين النظرية التوليدية التحويلية والنظرية المعجمية الوظيفية	حنك عبد الوهاب	289

كلمة العدد

يسر هيئة التحرير أن تضع بين أيدي الباحثين العدد السادس من مجلة "لغة – كلام" التي يصدرها مختبر اللغة والتواصل بالمركز الجامعي بغليزان، وقد تضمن هذا العدد مجموعة من البحوث والدراسات الأكاديمية المتميزة في موضوعات تراوحت بين دراسات لغوية ومقالات نقدية، تتماشى ونهج المجلة، فقد ناقش بريمي عبد الله من المغرب موضوع "السميائيات بين فكرة الفعل وفكرة القوة الفاعلة"، ودرس بلقندوز الهواري من الجزائر "حجاجية التكرار في الخطاب السياسي" متخذا من قرار مجلس الأمن 1483 نصا تطبيقيا، ومن السعودية تطرقت عائشة بنت عبدالله علي جراح إلى "ظاهرة النفي في اللغة العربية".

إن هذه الدراسات وغيرها جاءت لتثري الساحة الفكرية، وتسهم في خلق حالةٍ من النقاش النقدي الجاد.

ووفاء بالوعد الذي قطعته المجلة على نفسها منذ عددها الأول، فقد خصصت مساحة معتبرة لطلبة الدكتوراه، ومنحتهم فرصة التعبير عن أنفسهم معرفيا، ونأمل أن تنال اجتهاداتهم هذه رضى القُراء.

أخيراً وليس آخراً، نأمل أن نكون قد أحسنا العمل، فنحن نعمل لغايتين؛ لننجح ولنؤدي الواجب، فإن فاتتنا الأولى فلا تفوتنا الثانية.

مدير المجلة

د/ مفلاح بن عبد الله

النّظم من الإعجاز إلى الشعرية

(قراءة في الدّرس الجرجاني بين المنجز والمأمول)

كباس عبد القادر
المركز الجامعي الونشريسي - تيسمسيلت (الجزائر)
keb1980.ka@gmail.com
إشراف د/ بشير دردار

Systems of Miracles to Poeticism

Reading in the lesson Al-jergani between the completed and hoped

Kebas Abdelkader
Centre Universitair EL WARCHARISSI - Tissemsilt (Algérie)
keb1980.ka@gmail.com

النّظم من الإعجاز إلى الشعرية

(قراءة في الدّرس الجرجاني بين المنجز والمأمول)

كباس عبد القادر

المركز الجامعي الونشريسي - تيسمسيلت (الجزائر)

keb1980.ka@gmail.com

إشراف د/ بشير دردار

الملخّص

استطاع الجرجاني بفضل الأدوات الإجرائية التّي استنبطها من النّص (القرآني والأدبي)، أن يؤسس لخطاب نقدي انمحت معه الحدود بين اللغوي والفني، عبر ما اصطلح عليه بـ"**النّظم**"، تلك النّظرية التّي امتلكت الجرأة في الطرح والاستنتاج، كقراءة محتملة للنّص القرآني، لتشمل كل نص أدبي؛ شعرا كان أو نثرا.

منجز عبد القاهر **يأمل** في قراءة جادة، في إعادة صياغة، وفق تصوراتنا الجديدة للإبداع، للنقد.. يمكننا من خلال مباحثه في التّقديم والتّأخير، في الحذف، في الاستعارة ومعنى المعنى، وغيرها، أن نفيد منها بوصفها إجراءات إبداعية تخلق جمالية نصية، يمكن استغلالها وفق مفهومات عصرنا في مباحث الشّعرية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: النّظم؛ معاني النّحو؛ الأوضاع التّركيبية؛ الإعجاز؛ جمالية الانزياح.

Systems of Miracles to Poeticism

Reading in the lesson Al-jergani between the completed and hoped

Kebas Abdelkader

Centre Universitaire EL WARCHARISSI - Tissemsilt (Algérie)

keb1980.ka@gmail.com

Abstract

Al- jerjani was able to establish a critical discourse with a boundary between litrary and litrary, through that he called it ; « systems »,a theory that possessed audacity of substraction and conclusion,as a potencial reading of the Qu'ranic text, to include any litrary text ; poetry or prose.

He is hoping to read seriously in accordance with our new ideas of writing for criticism and creativity. Through his research, in introduction and appreciation, in the deletion, in metaphors, meanings and meanings, we can benifit from them a creative procedures that creates aesthetic texts ,which can be exploited according to the concepts of our time.in modern poetic discourse.

Keywords : systems, grammatical meanings, structural situations, miracles, aesthetic displacement.

1- قراءة الجرجاني لجهود سابقيه في النّظم:

نظرية النّظم لم توجد هكذا دون مقدمات وإرهاصات تهيّئ وتمهّد لها، فلا يُعقل أن يصل الأمر بهذه النّظرية إلى مثل هذا التّكامل والنّضوج والوضوح هكذا فجأة، بل لا بدّ وأنّها نتاج تراكم معرفي كبير وتواصل علمي طويل، وهذه الحقيقة قرّرها وتبناها جلّ من تناولها بالدّراسة والتّحليل.[1]

وسنحاول أن نقف على حقيقة هذه المسألة لا بمجرد الإتباع والتّقليد، وتكرير ما قيل ولكن بالبحث في حقيقة هذه الأسبقية، بمحاولة استقراء النّصوص التّراثية وفق آراء الباحثين المتخصصين في هذا الشأن، لأنّه لا يكفي أن نجد كلمةَ "نظم" في بعض النّصوص القديمة لنجزم ونحكم بكون الجرجاني مسبوقاً إليها، لأنّ موضوع بحثنا- عن الجرجاني-ليس مطلق النّظم، وإنّما هو نظم مخصوص، نظم الكلم وفق قوانين النّحو بما تمليه معانيه، دون أن ننسى قصد الجرجاني من هذا المفهوم الشامل لرؤيته للنص عموما انطلاقاً من مفهومه لإعجاز القرآن الكريم، وهذا هو النّظم الذي تنسب الأسبقية في اكتشافه، أو على الأقلّ في تجليته وبيانه لعبد القاهر.

يؤكّد هذه الحقيقة عبد القاهر نفسه، فهو يقرّ في غير ما موضع من (دلائل الإعجاز) على حقيقة كونه مسبوقا بغيره، وهذا ما يرجح حقيقة استفادته ممّن سبقه، ولكن يبقى السّؤال: كيف استفاد ذلك ؟ وربما هذا السّؤال هو خلاصة تلك التّساؤلات التّي أثارها الجرجاني في فصل (تفسير النّظم وأسراره ودقائقه). يقول:" واعلم أن هاهنا أسراراً ودقائقَ لا يمكن بيانها إلا بعد أن تقدم جملة من القول في النّظم وفي تفسيره والمراد منه، وأي شيء هو؟ وما محصوله وما محصول الفضيلة فيه؟...وبيان المزية التّي تدّعى له من أين تأتيه؟ وكيف تعرض فيه؟ وما أسباب ذلك وعلله ؟ وما الموجب له؟".[2]

ثم يشير إلى حقيقة أنه لم ينطلق من فراغ، نفهم ذلك من قوله: "وقد علمتَ إطباقَ العُلماءِ على تعظيمِ شأنِ النّظم وتفخيمِ قَدْرِه، والتّنويهِ بذكرِهِ وإجماعِهم أنْ لا فضلَ معَ عَدَمِه، ولا قدرَ لكلامٍ إذا هو لم يستقمْ لهُ، ولو بلغَ في غَرابةِ معناهُ ما بلغ. وبتَّهم الحكمَ بأنه[أي النّظم] الذي لا تَمامَ دونه، ولا قوام إلا بهِ، وأنه القُطب الذي عليه المدارُ، والعمودُ الذي به الاستقلال". [3]

وفي معرض حديثه عما يسميه(كلم منظومة) يقول: " وليس هو النّظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كانَ عندَهُم [يقصد النّظم] نظيراً للنَّسجِ والتّأليفِ والصياغةِ والبناءِ والوَشْيِ والتّحبير وما أشبه ذلك، مما يوجبُ اعتبارَ الأجزاءِ بعضِها معَ بعضٍ حتّى يكونَ لوضعِ كلٍّ حيثُ وُضعَ علّة تَقْتضي كونَه هناك، وحتى لو وُضعَ في مكانٍ غيرِه لم يَصلح".[4]

ويقول أيضا: "...إلاّ أنهم وإن كانوا لم يستعملوا النّظم في المعاني، قد استعملوا فيها ما هوَ بمعناهُ ونظيرٌ له، وذلك قولُهم: إنه يرتّبُ المعاني في نفسِه وينُزلُها ويبَني بعضَها على بَعضٍ كما يقولون: يرتبُ الفروعَ على الأُصولِ، ويتُبعُ المعنى المعنى، ويلُحقُ النّظيرَ بالنّظير".[5]

هذه النّصوص تؤكّد استفادة الجرجاني ممّن سبقوه، وهي حقيقة لا تحتاج إلى الاستدلال أصلاً، ولا ينبغي أن يقف عندها الباحثون بأكثر من الإشارة العابرة، لأنّها حقيقة تعمّ العلم كلّه لا نظرية النّظم فقط، فالعلم كلّه نتاج متراكم يغني بعضه بعضا، يستفيد الآخر من الأوّل ويزيد عليه شرحا وتفسيرا، أو تتمة واستدراكا، أو تنبيها وتصويبا...وهكذا حال المعرفة. ولا بأس أن نقف قليلا مع هذه النّصوص وننعم النّظر فيها، حتى يتبين لنا وجه الصواب فيما كان يرمي إليه الجرجاني بأقواله تلك، كي تتضح لدينا طبيعة استفادته من سابقيه. بمعنى هل بنى على ما أنجزوه؟ واستدرك عليهم ما أغفلوه؟ وماذا أضاف عبد القاهر في الدّرس النّقدي البلاغي، ولاسيما الإعجازي ؟ ثم ما هي دوافعه الحقيقية ؟ ولماذا ذاك الحماس الذي نلمسه في الدّلائل؟ ولماذا تلك العجلة التّي صرفته عن التّبويب، وجعلته يبني كتابه ذلك البناء العجيب؟. وكما يقول محمود شاكر:" بل كان عمله مشوبا بحمية جارفة لا تعرف الأناة في التّبويب والتّقسيم، وكأنه كان في عجلة من أمره، وكأن منازعا كان ينازعه عند كل فكرة يريد أن يجليها ببراعته وذكائه وسرعة لمحه..."[6]

هذه الأسئلة مشروعة لمن يقرأ دلائل الإعجاز قراءة متأنية، مقرونة بوعي يحيط بملابسات تلك الفترة من تاريخ الإسلام، وما أفرزه ذلك الجدل بين تلك الفرق الكلامية على اختلاف مشاربها من قضايا متشعبة، اختلط الأمر فيها اختلاطا شديدا امتد أثره إلى النّص القرآني.

أ- قوله: "وقد علمتَ إطباقَ العُلماءِ...وإجماعِهم ...وبتَّهُم..." ألفاظ توحي بانتشار اصطلاح النّظم وشهرته وذيوعه بين العلماء، لكن الأمر على خلاف ذلك، وإلاّ فما حاجة الدّارسين إلى مثل هذه المباحث، ينقبون في كتب التّراث ويبحثون عن لفظة ها هنا، وكلمة هناك، فيها إيماءةٌ أو إشارةٌ للنَّظم، لماذا كلّ هذا الجهد إذا كان اللفظ مجمعاً مطبقاً عليه، وقد بتّوا فيه في كتبهم ؟.

إنّ الواقع يأبى هذا الطرح، فأشهر كتب البلاغة والنّقد والإعجاز التّراثية بين أيدينا، ولا نجد فيها هذا الإجماع والإطباق الذي ذكره الإمام الجرجاني، فما الذي أراده بهذا الإطلاق ؟.

ب- قوله:" إلاّ أنهم وإن كانوا لم يستعملوا النّظم في المعاني، قد استعملوا فيها ما هوَ بمعناهُ ونظيرٌ له... كانَ عندَهُم نظيراً للنَّسجِ والتّأليفِ والصياغةِ والبناءِ والوَشْيِ والتّحبير وما أشبه ذلك".[7]

واضحٌ من كلامه أنّ النّظم كان معروفاً بمفهومه ومعناه، لا باصطلاحه ولفظه، أي أنّ من تقدّمه من العلماء قد تحدثوا عن النّظم، ولكن بمسميات أخرى غير النّظم، وقد ذكر من هذه المسميات(النّسج، التّأليف، الصياغة، البناء، الوشيّ، التّحبير). وعلى مثل هذا المعنى يحمل قوله المتقدم (إطباق العلماء، وإجماعهم)، خاصة وأنّ المتتبع لكتب البلاغيين والنّقاد الذين سبقوا الجرجاني يجدها حافلة بمثل هذه المصطلحات، فقد أطبقوا عليها وأجمعوا تماما كما قال.

وإذا كان النّظم شبيهاً بالنّسج والتّأليف والصياغة والتّحبير والبناء والوشي، فإنه يوجب في تقويمه النّظر إلى أجزائه في تآلف بعضها مع بعض، لكي نعرف الأسباب التّي دعت إلى وضع أحدها حيث وُضع، والتّي اقتضته بحيث أنه لو وضع في مكان آخر، لاختل النّسج أو البناء كله .[8]

ج- قوله:" وذلك قولُهم : إنه يرتّبُ المعاني في نفسه وينُزلُها ويبَني بعضَها على بَعضٍ. كما يقولون : يرتبُ الفروعَ على الأُصولِ، ويتُبعُ المعنى المعنى، ويلُحقُ النّظيرَ بالنّظير". وقوله:" مما يوجبُ اعتبارَ الأجزاءِ بعضِها معَ بعضٍ، حتّى يكونَ لوضعِ كلٍّ حيثُ وُضعَ علّة تَقْتضي كونَه هناك، وحتى لو وُضعَ في مكانٍ غيرِه لم يَصلح". وقوله في أكثر من موضع في الدّلائل:"...قول القائل: إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ".[9]

وقوله:"... قول القائل: إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة".[10] ويبدو أن القائل هنا هو القاضي عبد الجبار المعتزلي.*[11]

في هذه النّصوص يستوقفنا الجرجاني على معنى النّظم الذي سُبِقَ إليه فهو: ترتيبٌ للمعاني، بناء بعضها على بعض، إتباع المعنى المعنى، إلحاق النّظير بالنّظير، اعتبار الأجزاء... وهي تعريفات غامضة فيها كثيرٌ من الإجمال، لا ترتقي إلى تحديد الجرجاني للنَّظم وضبطه له، بل تبدو أقرب إلى كونها ضروبا من النّظم، لا النّظم ذاته. فبعضهم يشير إلى ترتيب المعاني وآخرون إلى المقابلة فيها، وطائفة أخرى إلى مطلق التّأليف. بيد أنهم قد أدركوا مكانة النّظم وأهميته، ولكنهم لم يقفوا على حقيقته , فهم يعرفون أنّ سرّ بلاغة الكلام في هذا الوضع والتّرتيب المخصوص لكن كيف؟. ولماذا ؟... هذا ما لم يتوصلوا إليه.

انطلاقا من هذه النّصوص وغيرها، يظهر أنّ النّظم قبل الجرجاني بدا فضفاضا قابلا لاستيعاب دلالات عديدة؛ فمن السّبك والتّأليف عند الجاحظ ("سلسة النّظام"، "على نظم القرآن وطبعه"، "لا يقع بعضُها مماثلاً لبعض"، "متلاحم الأجزاء"، " أُفرِغ إفراغا واحداً، وسُبِك سبكا واحداً). والخطابي(واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف...ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه). وصولا إلى بداية الأسس الأولى للنَّظم وجها للإعجاز عند الباقلاني (وقد تأملنا نظم القرآن, فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التّي قدّمنا ذكرها على حدّ واحد في حسن النّظم وبديع التّأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدّنيا). وبروزها بشكل لافت مع عبد الجبار(بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التّي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه وقد تكون بالموقع...ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات...).

يقول الدّكتور حمادي صمود:" تلك هي أهم معاني النّظم الرائجة في أوساط المهتمين بإعجاز القرآن قبل عبد القاهر، وتجمع بين القائلين بها عدة خصائص، منها أنهم تعرضوا للمصطلح في صورة مجملة، ولم يعطوه مضمونا

مضبوطا ملموسا، ولم يحللوه تحليلا لغويا يكشف عن طاقات اللّغة، وما توفره للمستعمل من إمكانيات التّركيب والتّأليف".[12]

ويرى الدّكتور محمد العمري أنه:" من المقبول المتوقع أن يحكم بلاغي ينظر من هذه الزاوية مثل عبد القاهر، بأن من سبقه لم يبين بدقة العنصر البلاغي الذي يقع به التّفاضل ويبين الإعجاز".[13]

أما تامر سلوم فيرى أن حديث(النّظم) ذو أصول تاريخية بعيدة، وهو موضوع عالجه النّحاة واللغويون والنّقاد والبلاغيون علاجا يسيرا، أسيء فهم موضوعه ووظيفته وعلاقته بفاعلية اللّغة ونشاط الشّعر، ولكن عبد القاهر منحه سمة تمتاز بالتّوضيح والتّفصيل والتّأويل، فأعاد تشكيل مادته من جديد ووسّع من دلالتّه، ووثق الاهتمام به ونماه، ونبه في قوة على رصيد هائل من صوره ومعانيه، ورأى أن الشيء الذي لا يزال محتاجا إلى التّوكيد أو التّأييد، هو أن نعيد طريقة التّفكير والتّعبير الأدبي على الإجمال.[14]

ويبدو أنه قد استقام في أذهانهم رؤية النّص من منظور ثنائية اللفظ والمعنى واصطلحوا على تسمية الضابط اللاحم لهذين العنصرين باصطلاحات مترادفة، كالسّبك والتّأليف والرصف، دون النّظر إلى قوانين هذا التّرتيب وقواعده؛ بعبارة أوضح، إنهم كانوا يدركون أنّ الكلمة كذا ينبغي، أن توضع في هذا الموضع دون غيره، لعلّة تقتضي ذلك، لكن ما هي هذه العلة ؟ وما هو القانون الذي يحكم ذلك كلّه ؟. والجواب على تلك الأسئلة هو الإضافة الكبرى التّي أضافها الإمام الجرجاني للدرس البلاغي والنّقدي، بجعله معاني النّحو العربي سلطان هذا التّأليف والنّظم.

2- النّظم في تَصوُّر عبد القاهر الجرجاني.النّظرية و الإجراء

2-1/ **النّظم و معاني النّحو**: لقد كانت قضية الإعجاز القرآني هي السّبب في اندلاع تلك الحرب الكلامية بين العلماء وخاصة بين المعتزلة والأشاعرة، وارتبطت بمسألة أخرى هي البحث في طبيعة الكلام الإلهي، يقول محمد عبد المطلب: "وقد جر ذلك الجدل إلى تناول الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها، فمن النّاس من رأى أن هذه الصلة طبيعية ذاتية، ومنهم من رأى أن العلاقة اتفاقية اعتباطية، وقد صاحب ذلك كله التّفكير في جهة الإعجاز القرآني من حيث هو كلام منطوق باللسان العربي، كما صاحبه البحث في مسألة اللفظ والمعنى، بين مؤيد للأول، ومنحاز للثاني".[15]

وبعد قراءة كتاب دلائل الإعجاز يتضح أنه يقوم على دعامة من النّحو والنّظم، ففي المدخل يقول عبد القاهر:" هذا كلام وجيز يطلع به النّاظر على أصول النّحو جملة وعلى ما يكون به النّظم دفعة".[16] وبعد إمعان النّظر في كلامه المتناثر طيلة الكتاب، يتضح أن عبد القاهر لا يفرق بين النّظم وتوخي معاني النّحو؛ إذ يجعل منهما كلمتين مترادفتين لمفهوم واحد.

إن الإعجاز في النّص يكون بنظم الكلام لا بالكلم المفردة، إنه يعود إلى الصورة التّي تعرض عليها الألفاظ داخل النّظم. " وإن بقينا الدّهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكاً ينظمها، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها، ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النّحو وأحكامه فيها، طلبنا ما كل محال دونه."[17] ويقول:" اعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التّي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها".[18]

ويكرر عبد القاهر ترسيخ مفهومه **للنَّظم**، بكونه توخيا لمعاني النّحو وأحكامه وفروقه ووجوهه في معاني الكلم قدر الإمكان، فلا يفتأ كلما أطال به المدى واسترسل به الحديث أن يذكرنا بأمر **النّظم** من جديد، ويأخذ في شرحه وإيضاحه.

وأهم جانب في بحث عبد القاهر ما ألح عليه من أن فكرة (العلاقات) تنطوي على حركة خلق مستمرة في اللّغة، ترجع إلى موقع الكلمة من السّياق وعلاقتها به، ومن ثم شاد بها عبد القاهر كثيرا فألغى كل الإمكانيات الأخرى التّي يحتملها السّياق، وأدخل بعضها في فكرة (**النّظم**)، وقدر منذ البدء أن لدينا في البناء الشّعري خصوصيات لا تفهم بمعزل عن فكرة(العلاقات السّياقية)، وأن الكلمة لا يتصور معناها من دون أن يراد تعليقها بمعنى كلمة أخرى، ولا يصح أن يتعلق بها الفكر مجردة من معاني النّحو التّي هي محصول التّعلق، وتوخيها فيه.[19]

فعبد القاهر لم ينظر إلى النّحو نظرة ضيقة تحصر مفهومه في معناه المعياري، وإنما نظر إليه نظرة واسعة تتجاوز به قضايا الصحة والخطأ وقواعد الإعراب، إلى قضايا الجمال والإبداع. والنّحو المعياري "إنما خلا من الفضائل والمزايا لأنه يمثل وفقا لعبارتنا الحديثة الدّرجة الصفر للنّحو *le degré zéro de la grammaire*. بمعنى أن الكلام الذي يتوخى قوانينه يجيء ساذجا قريب المأخذ عاريا من الخصائص الفنية، ويستعمل أوضاع اللّغة كما أراد لها واضع اللّغة أن تكون".[20]

يقول عبد القاهر:" وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى:(**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ويا سماء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**[21]). فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها؟.- وإن شككت فتأمل هل ترى لفظة لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل:(ابْلَعِي). واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.- وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النّداء ب(يا) دون (أي)، نحو(يا أيتها الأرض)، ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف)، دون أن يقال: (ابلعي الماء)، ثم أن اتبع

نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السّماء وأمرها بما يخصها، ثم أن قيل:(وغيض الماء)، فجاء الفعل على صيغة (فعل) الدّالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله:(وقضي الأمر)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو:(استوت على الجودي)، ثم إضمار السّفينة قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدّلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة بـ(قيل) في الفاتحة؟. أفترى لشيء من هذه الخصائص التّي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنّفس من أقطارها، تعلقا بالصوت من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النّطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟.[22]

لو أمعنا جيدا في هذه الآية الكريمة، لوجدنا أن معاني النّحو هي الأداة المعرفية والإجرائية التّي نستطيع من خلالها التّعرف على سر الإعجاز فيها وفي غيرها من الآيات، وهذا في الحقيقة إعلاء للغة باعتبارها مقياسا للأداء الراقي، وتكريس لبنيتها باعتبارها تجليا للشعرية والتّأثير، فهي تطفح بإمكانات تعبيرية رائعة، وبطاقة أسلوبية مدهشة، من خلال نظم يطغى سحره على النّفوس وروعته تحدث فينا خلخلة، وهذا السّحر وهذه الروعة لا يمكن أن يكونا ناجمين عن الألفاظ وحدها، دونما اعتبار لطريقة التّأليف الذي وردت فيه، فلو أفردنا مثلا(ابلعي) وحدها لما أدت من الفصاحة مثلما كانت تؤديه وهي مع أخواتها من الألفاظ الأخرى في الآية، وكذلك سائر الألفاظ الأخرى(أرض، ماءك، سماء، أقلعي، غيض، الجودي.... الخ)، فالإعجاز في هذه الآية الكريمة راجع إلى معاني النّحو، وهي معان ليست كما تبدو مجرد قواعد نحوية صارمة، ولكنها معان ومشاعر وهي بتفاعلها مع غيرها، قد شاركت في نقل الصورة العامة التّي تريد الآية تبليغها للناس بكل ما تنطوي عليه من إحساس وانفعال، والصورة العامة التّي تريد الآية تبليغها للناس هي عبارة عن وصف عام لما كان بعد حادثة الطوفان، التّي أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون، وذلك حتى يتم القضاء على كل الشرور والآثام، وتصفية الظالمين الجبابرة في الأرض، مقابل نجاة نوح عليه السّلام ومن معه من المؤمنين الذين كانوا في السّفينة، والله إذا أراد شيئا فإنما يقول له(كن فيكون) خاصة إذا تعلق الأمر بالظلم والفساد في الأرض.[23]

ذلك هو مفهوم **النّظم** الجرجاني يبرز لنا من خلال هذه الآية مكتسيا معاني النّحو، مزينا منمقا بمعاني البلاغة، فالنّداء والأمر والإضافة والعطف والحذف والتّوكيد والذكر والإضمار والمقابلة، كلها من معاني النّحو البلاغي أو البلاغة النّحوية، وقد أدت هده المعاني دورها في إعطاء الصورة العامة للآية الكريمة، وبينت لنا

ويوضح تامر سلوم هذا المفهوم الذي ينغلق على بعض الدّارسين، وتبدو لهم العبارات التّي جاء بها الجرجاني وأشباهها الدّالة على **النّظم**، عبارات توهم أن المعاني التّي يرومها عبد القاهر نحوية بحتة، وأن **النّظم** عند الجرجاني لا يبرز إلا في ضوء النّحو. يقول"فإن من الأهمية بمكان أن نشير هنا، إلى أن عبد القاهر أدرك هذه الحقيقة وأنه تجاوزها دون توقف تام عندها. وإذا ما قرأت في الدّلائل غير مرة فإنك لن تجد عناء في

التّخلص من هذا الفهم المحدد الذي ينافي روح التّعمق... وجدنا عبد القاهر يحاول أن يثبت في الجوانب الأولى من الدّلائل أن العمل الأدبي لا يكون إلا في المعاني، ويؤكد أن **النّظم** لا علاقة له باللفظ. وإنما **النّظم** يقتضي المعنى القائم في النّفس، ويرتب الألفاظ حسبما تترتب هذه المعاني. فللمعاني الأسبقية وإليها يرتد التّفكير الأدبي...ولهذا ينبغي إذا أردنا أن نتبين العلاقة الحقيقية بين **النّظم** والمعنى، أن نبعد عن **النّظم** شبح اللفظ وأن نلح دائماً في أن نمحو كل علاقة مزعومة بينهما".[24]

إن النّص القرآني هو الذي أوجد هذه القيم الجمالية، وهو الذي ولد مفهوماً جديداً للنص لم يكن معروفاً. يقول محمد عبد المطلب: " إن القرآن قد أضاف إمكانات كبيرة للنحو بالمفهوم الجمالي التّركيبي، واستحدث طرقاً فنية للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات، وخلق دلالات متنوعة تتوافق مع أغراضه وأهدافه، وهذا يؤكد لنا أمراً هاماً، وهو أن تركيب الصيغ والعبارات شديد الالتّحام بعملية الإبداع، فلو نظرنا للغرض أو المعنى دون نظر إلى العلاقات النّحوية من حيث فعاليتها في تلك الأغراض، فإننا نبتعد عن الإدراك الحقيقي لعملية الإبداع، إن هذه العلاقات القائمة في التّراكيب تخلقها أدوات نحوية مألوفة، ولكن باستعمالها في كل جنس أدبي تقدم عطاء فنياً جديداً، وتثري العمل الأدبي بمفاهيم ودلالات لا تكتسب إلا عن طريق إمكانات النّحو".[25]

فعبد القاهر يقصد إلى النّحو البلاغي، وبذلك يكون أول عالم أخرج النّحو من نطاق معياريته وجفافه، وأصبح **النّظم** الذي يرتبط بالنّحو، يبحث في الأسرار البلاغية، والجماليات الفنية التّي تدق في جاذبيتها وترتقي في تصويرها، حتى تصل إلى أرفع مراتب البيان، وذلك هو الإعجاز الذي أذاب فيه عصارة أيامه ولياليه.

2-2/**النّظم والأوضاع التّركيبية للغة:** ينطلق الجرجاني من الأوضاع المحتملة للتراكيب ليكشف عن قدرة العربية على التّلون وكل تحول دال على معنى."... وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التّي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، والمنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق".[26] ثم راح يتتبع النّص من خلال مكوناته في الأحوال المختلفة، والتّي ترتبط بالحروف المحملة بالدّلالات (حروف المعاني)؛ التّي لها دور مهم في تحديد المعنى "وينظر في الحروف التّي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بما في نفي الحال، وبلا إذا أراد نفي الاستقبال، وبإن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبإذا فيما علم أنه كائن."[27]

وكل هذا متعلق بنظم الجملة الواحدة من جزئيات مكونة لها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتجاوز **النّظم** هذا إلى مستوى أكبر، يتعلق بنظم الجمل فيما بينها بناء على علاقات متعددة أيضاً، يقول: "وينظر في الجمل التّي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل... ويتصرف في التّعريف والتّنكير والتّقديم والتّأخير

في الكلام كله. وفي الحذف والتّكرار والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له."[28]

فمنهج عبد القاهر فلسفة لغوية ترى في اللّغة مجموعة من العلاقات و" أن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التّأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التّركيب والتّرتيب".[29] ومن ثم فالأساس هو النّحو، على أن يشمل علم المعاني، وأن يعدو الصحة اللغوية إلى الجودة الفنية، وفي النّهاية تحكيم للذوق فيما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة، من إحساس بجمال لفظ في موضع خاص، أو فطنة إلى قوة رابطة أو أداة في جملة أو بيت شعر دون غيرهما، وأما ما دون ذلك من بديع فعبد القاهر يرفضه، ولا يقبل منه إلا ما يكون فيه تقوية للمعنى أو إيضاح- يضيف مندور- ومنهج عبد القاهر هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي...المنهج اللغوي (الفيلولوجي) الذي يضم إلى النّحو علم التّراكيب (*syntaxe*) الذي يشبه ما نسميه الآن علم المعاني. هذا المنهج خليق بأن يجدد فهمنا لتراثنا الأدبي كله.[30]

فمن مقتضيات النّظم مثلا أنك ترى اللفظة الواحدة جاءت مرة نكرة، وأخرى معرفة، من ذلك قوله تعالى:{ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**}[31] يقول الجرجاني: "إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك، وجدت لهذا التّنكير(على حياة)، ولم يقل (على الحياة) حسنا وروعة ولطف موقعٍ وتجدك تعدم ذلك مع التّعريف، وتخرج عن الأرْيحية والأنس إلى خلافهما. والسّبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك أنه لا يحرص عليه إلا الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها. وإذا كان كذلك، صار كأنه قيل: ولتجدنهم أحرص النّاس ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه، حياة في الذي يستقبل".[32]

3-2/ **النّظم وجماليات الانزياح** : أفرد الجرجاني لمبحث المجاز فصلاً كاملاً في كتابه أسرار البلاغة بعنوان: (في حدي الحقيقة والمجاز)، فرّق فيه بين حال الحدين في المفرد وفي الجملة. يقول: "واعلم أن كل واحد من وصفي المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به الفرد، غير حده إذا كان موصوفاً به الجملة. وإنا نحدهما في المفرد: كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع- وإن شئت قلت: في مواضعة- وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة. وهذه عبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه، كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع النّاس مثلاً أو تحدث اليوم".[33]

ولعل الشيء المهم في ما ذكر، هو ذلك النّقل الذي يحصل للكلمة بين الوضع الحقيقي والوضع المجازي، والنّقل هو مستوى من مستويات الانزياح؛ ما تعلق باللفظ المفرد، أو ما تعلق بوضع الكلمة داخل الجملة.

يشير مازن المبارك إلى أنّ عبد القاهر في دلائل الإعجاز، يتعرض لبعض المباحث البيانية ولم تكن البلاغة في عصره قد عرفت هذا التّقسيم الذي عرفته فيما بعد على يد السّكاكي. فيتحدث عن الكناية والاستعارة والتّمثيل والمجاز، حديثا فيه الكثير من الدّقة والعمق، وهو في كل ذلك لا ينسى أن ينبه إلى المعاني النّحوية

التّي اقتضت وضعها هذا الوضع.[34]

أ- **المجاز**: يرتبط المجاز عند الجرجاني بهذا التّعريف: "وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز. وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[35]. وبذلك يركز على الملاحظة على أنها الرابط بين الاستعمال الوضعي والانزياح عنه، بتوافر القرينة المانعة للمعنى الأصلي، وهي التّي تدل على النّقل. وتلعب العلاقة بين المنقول له والمنقول عنه دوراً في تحديد أنواع المجاز، ومن هنا كان حديثه عن الاستعارة والتّشبيه والكناية والتّمثيل من الأسس المكونة للنّظم. "ذلك لأن هذه المعاني [الاستعارة والكناية والتّمثيل وسائر ضروب المجاز] من مقتضيات النّظم، وعنها يحدث وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النّحو".[36]

إن ما جاء به الجرجاني في هذه الأبواب من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية، يؤكد توجهه المبدئي من أن أساس الحسن في القول، إنما يجري على النّظم وصلة المعاني بعضها ببعض، فالنّظم هو سبب الحسن وأساس الجمال ومصدر البلاغة؛ "وجملة الأمر أنّا ما رأينا في الدّنيا عاقلاً اطّرح النّظم والمحاسن الذي هو السّبب فيها، من الاستعارة والكناية والتّمثيل وضروب المجاز والإيجاز، وصد بوجهه عن جميعها، وجعل الفضل كله والمزية أجمعها في سلامة الحروف مما يثقل".[37]

ب- **الاستعارة**: يبدو أن الجرجاني لا يتصور جمالاً خارج نظرية النّظم، فجمال الاستعارة مثلا يتأتى فقط من نظم الكلام، فهو أساس الحسن فيها. يقول في فصل (الاستعارة): " أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ".[38] فالسّر في جمال الاستعارة يعود إلى ما توخى في جملتها من نظم، وما توخى في وضع الكلام من ترتيب على نحو خاص. ويستشهد الجرجاني بقول الشاعر:

سَالتّ عَليهِ شِعابُ الحيَّ حِين دعَا أنصارَه بوجُوهٍ كَالدّنانِيرِ

يقول:" فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن بما توخى في وضع الكلام من التّقديم والتّأخير الذي حدث في الجارين والظرف، ولو أزيل كل منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقيل (سالتّ شعاب الحي بوجوه كالدّنانير عليه حين دعا أنصاره) لذهب الحسن والحلاوة التّي كنت تشعر بها قبل هذا التّغيير".[39]

وهنا يكون مفيدا أن تعيننا نظرية السّياق التّي تنظر للاستعارة على أنها نموذج لدمج السّياقات، وفيه تكون الاستعارة أكثر من كونها مجرد مقارنة بين تيين عن نقطة ما، أو تشير إلى قاعدة بإعادة تكوينها تكوينا جذابا، إنما تصبح الاستعارة هي العنصر الذي لابد منه لربط سياقين ربما يكونان بعيدين جدا، أو على الأقل يكونان في النّهج العادي للحياة غير مرتبطين.[40]

إن طريقة الشاعر في صياغة استعاراته، أو بناء وحدة خاصة للكلمات، جزء أساسي من جماليات التّصوير الشّعري، وهي التّي تضيف إلى الشّعر حسنه وقوته وثراءه، وهذا ما يجعلنا -يقول تامر سلوم-نصرح بأن (المعنى العام) لا يعني عبد القاهر، وأنه ليس أصلا في حديث **النّظم** ولا يمت بصلة إليه... وهذه خاصية يهمنا كثيرا أن ننبه عليها، لأنها وحدها التّي توضح العلاقة الحقيقية بين **النّظم** والمعنى، ودونها لا نستطيع أن نتحسس موقع المعنى من النّفس ولا نتمثل الاختلافات التّي تحدثها أمكنة الكلمات وصياغتها. ولذلك راح يقارن بين قوله تعالى:{ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**}[41]واشتعل شيب الرأس، أو اشتعل الشيب في الرأس. ويلح على أن بحث الاستعارة هنا ينبغي أن يتم في ضوء تنظيم الكلمات وطريقة تأليفها، أو أن صيغة التّركيب في الآية تؤدي معنى أو وظيفة تحتاج إلى تحليل. وهذه حقيقة يسيرة، ففي الآية مزية لا ترجع إلى مزية المعنى أو الاستعارة.[42] يقول عبد القاهر:" وإنما تدخل على النّفوس بأن يسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه، فيرفع به ما يسند إليه، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده، مبينا أن ذلك الإسناد وتلك النّسبة إلى ذلك الأول، إنما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة".[43]

نفهم من كلامه أن لفظة(اشتعل)، كان حقها أن تسند إلى الشيب لا الرأس؛ لأن اشتعل للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ، كقولنا (اشتعل شيب الرأس)، وهذا تعليل منطقي يقدمه عبد القاهر ليبين الفروق الدّقيقة بين كلام وآخر، فظاهر الكلام أن الآية والقول لهما معنى واحد، ولكن العكس، فشتان ما بين{ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً** } وقولنا (اشتعل شيب الرأس)، فالآية جمعت بين متانة التّركيب وتمام المعنى، أما الكلام الثاني فلا نحس فيه بجمال العبارة.

وفي هذا المقام وجدت مخططا لحمادي صمود يلخص كلام عبد القاهر بخصوص شرح الحسن في الاستعارة من قوله تعالى:{وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً }. وهو كالآتي:[44]

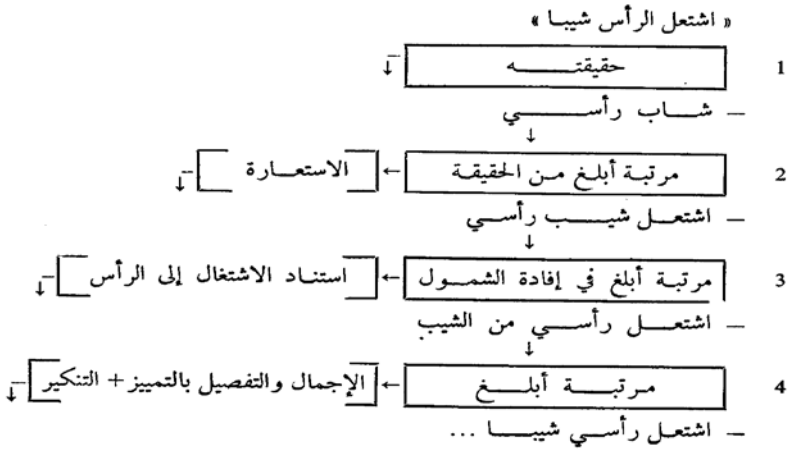

417

فنحن بالاستعارة نستفيد معنى لا نستفيده بالكلام(الغفل) السّاذج ونجد للكلام صورة تختلف عن صورته في أصل الوضع ومع ذلك فالألفاظ لم تتغير، فالذي يقول الأسد وهو يقصد رجلا شجاعا، فإنه لم يستعر في

الحقيقة اسم الأسد وإنما استعار له معناه، لأن لفظة الأسد تبقى دالة في اللّغة على ما وضعت له، والتّقريب بين الرجل والمرأة إنما وقع من جهة المعاني، ثم إن جرس الكلمة لا يتغير في حالة استعارتها مما يدل على أن المزية ليست في ذاتها.[45]

ج- **التّشبيه**: كلما قوي نظم العبارة ازداد التّشبيه حسنا وجمالا، وكلما ضعف نظم العبارة ضعف جمال التّشبيه. " لأن التّشبيه قياس، والقياس يجري فيما تتبعه القلوب، وتدركه العقول وتستفتي فيه الأذهان والأفهام، لا الأسماع والآذان".[46] و دور النّظم في جمالية التّشبيه:" أضربه لا تتفاوت إلا من جهة المعنى وطريقة تعليق الألفاظ، فالفرق بين (زيد كالأسد) و(كأن زيدا الأسد) و(لئن لقيته ليلقينك منه الأسد) إنما هو في حسن الصورة وتفخيم المبالغة حتى أن القارئ في الصورة الثالثة (يرى الأسد على القطع فيخرج الأمر عن حد التّوهم على حد اليقين). ولا دخل للفظ في ذلك وإنما في المعنى المترتب عن طريقة البناء والتّرتيب.[47]

د- **معنى المعنى**: يقول الجرجاني:"...فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول(المعنى) و(معنى المعنى) تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر... وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللّغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخرى".[48] يقول صمود في كتابه بعد أن يستعرض جهود البلاغيين لمحاصرة أسباب بلاغة النّص الأدبي وميزته على أنواع القول الأخرى :"ويمكن تلخيص طريقتهم في العمل على النّحو الآتي: إيراد الشاهد، وهو الغالب في الاستعارة لأنها أرقى صنوف المجاز عند البلاغيين قاطبة ثم يترجم صاحب التّأليف عن معناه، وبعدها يحاول إظهار الفارق بين الطريقتين في الأداء والإضافات المعنوية الخاصة من التّعبير بالاستعارة، وكثيرا ما يعول المتأخر على المتقدم فتتكرر الاستشهادات ولا تتغير طريقة التّحليل... حتى جاء رجل جمع إلى الذوق الأدبي قدرة المجادل وصرامة العالم، فإذا ما أشكل على أجيال من البلاغيين يوجز في عبارة هي قمة من قمم التّفكير العربي إطلاقا، ومنتهى ما وصلت إليه البلاغة في تفسير طرائق الأداء اللغوي في النّص، وتلك العبارة هي (**معنى المعنى**)".[49]

وقضية (**معنى المعنى**) هذه من أدق المسائل التّي نفذ إليها الإمام عبد القاهر، لم ينتبه إليها أحد من النّقاد قبله. ويرى إحسان عباس بأن مرحلة معنى المعنى هي المستوى الفني من الكناية والاستعارة والتّشبيه... ومن مرحلة "**المعنى**" يتكون (علم المعاني)، ومن مرحلة "**معنى المعنى**" يجيء (علم البيان)، ولهذا نستطيع أن نقول إن عبد القاهر بعد أن انتهى من دلائل الإعجاز الذي تحدث فيه عن المعنى، حاول أن يخصص كتابا لدراسة معنى المعنى، فكان من ذلك (أسرار البلاغة)[50] *. وهذا الكتاب الثاني...فيه من التّفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل.[51] ولا غرابة أن يحظى هذا المصطلح(معنى المعنى) بعناية الدّارسين، وأن تتنازعه

مجالات عملهم فقد عقد مؤلف "التّفكير البلاغي عند العرب" الصلة بين هذا المفهوم وقضية المجاز، وعدّ بذلك عبد القاهر من أبرز الذين اعتبروا المجاز مندرجا في علم دلالات اللّغة، واستنتج صياغة جديدة لفارق ما بين الحقيقة والمجاز، في ظل ثنائية اللفظ والمعنى . تتضح في هذا الشكل[52]:

الحقيقة ..... دال ـــــ مدلول

المجـاز ..... دال ـــــ مدلول1 ـــــ مدلول 2

وعلا صمود بالمصطلح إلى اعتباره نظرية لها طاقتها الإجرائية الواسعة. يقول:"ونظرية (معنى المعنى)، بالإضافة إلى كونها قانونا كليا يفسر دلالة المجاز، تساعد على فهم جانب مهم من المقاييس البلاغية الأخرى وتخريجها على وجه صحيح مقبول، ففي ضوء هذا القانون نفهم الإيجاز والإيحاء . فقولهم في البلاغة إنها كثرة المعنى مع قلة اللفظ لا معنى له إن لم نقر بتولد المعنى"[53]؛يعني لا يمكننا أن ندخل تغييرا في المواضعة، بزيادة وتكثير معنى اللفظ، أو تقليله. إذ"لا معنى لقولنا (كثرة المعنى مع قلة اللفظ)، غير أن المتكلم يتوصّل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد، لو أنه أراد الدّلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير".[54] وهذا ما يقصده عبد القاهر بهذا المصطلح.

وقد لخّص مصطفى صادق الرافعي نظرية الإعجاز **بالنّظم**، على نحو يرجع بها إلى"أسرار الوضع اللغوي التّي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيبٍ حيٍّ من الألفاظ، يطابق سَنَنَ الحياة في دقة التّأليف، وإحكام الوضع، وجمال التّصوير، وشدة الملائمة".[55]

خاتمة

لقد وحّد عبد القاهر الجرجاني بين التّعبير وجماليات التّصوير، فالجمال الأدبي نكتشفه عن طريق فهمنا للنَّظم؛ بمعنى أن تقييمنا وحكمنا على النّصوص الأدبية، يجب ألا يخرج عن حدود دائرة النّظم، وليس عن طريق الشكل الخارجي للعمل الإبداعي. ومن هنا أمكننا أن نقول أن عبد القاهر قدم فكرا نقديا جديدا، استطاع من خلاله أن يطرح العديد من المفاهيم وقدم حلولا لكثير من القضايا النّقدية.فبعث في النّحو روحا جديدة، وأضفى عليه لمسات فنية جمالية لم يسبق له عهد بها، فأقام من خلاله منهجا جديدا يساعدنا بشكل كبير في فهم إعجاز القرآن الكريم وتذوق نصوصه، وهذا المنهج يصلح في دراسة النّصوص الأدبية، وتحليلها تحليلا أكثر دقة وأكثر شمولية، هذا المنهج هو المنهج اللغوي -كما يسميه محمد مندور- أو المنهج النّحوي الذي يبحث في العلاقات بين الكلمات.

الإحالات:

[1]- كثير هم الذين تناولوا نظرية النّظم بالدّراسة والقراءة في بحوث خاصة بها، وهناك من نقاد العصر الحديث – إن لم نقل كلهم – تناولوها عرضا ضمن انجازاتهم، فلا تكاد تجد كتابا في النّقد أو البلاغة يخلو من الحديث عن نظرية النّظم.

[2]- عبد القاهر- دلائل الإعجاز- تح- محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط5- 1425ه / 2004م- ص80

[3]- عبد القاهر- نفسه - ص 80

[4]- عبد القاهر- نفسه- ص 49

[5]- عبد القاهر- نفسه- ص 53

[6]- محمود شاكر- مقدمة دلائل الإعجاز- ص (أ)

[7]- واضح هنا أنه يقصد بالدّرجة الأولى الجاحظ والرماني المعتزليين، ثم الباقلاني الأشعري.

[8]- أدونيس- النّص القرآني وآفاق الكتابة- دار الكتاب العربي- القاهرة/ دار الآداب- بيروت - ص 27/26

[9]- عبد القاهر- السّابق- ص 63، ص395

[10]- عبد القاهر- نفسه - ص 394، 466،467

[11]- هذان القولان موجودان في كتاب عبد الجبار (المغني ج16- ص 200/199). ويعلق أبو فهر محمود شاكر: وهذان القولان هما اللذان يدور كتاب دلائل الإعجاز على ردهما وإبطال معناهما. هذا فضلا عن أقوال أخر ذكرها عبد القاهر دون أن ينسبها لأصحابها، ووجدتها ماثلة في هذا الموضع الذي ذكر فيه القاضي المعتزلي إعجاز القرآن- يقصد ج16من المغني- كالقول في (جزالة اللفظ) و(الفصاحة). يضيف محمود شاكر: ولكني أردت أن أنبه إلى علاقة لا ينبغي إغفالها أو التّهاون فيها، وهي هذه العلاقة بين كلام عبد القاهر، وكلام القاضي عبد الجبار. ذلك أن عبد القاهر منذ بدأ في شق طريقه إلى هذا العلم الجديد الذي أسسه، كان كل همه أن ينقض كلام القاضي في (الفصاحة)، وأن يكشف عن فساد أقواله في مسألة (اللفظ) بالمعنى المؤقت المحدد في كلامه في كتابه المغني.اهـ . انظر مقدمة دلائل الإعجاز- ص د/هـ.

[12]- حمادي صمود- التّفكير البلاغي عند العرب . أسسه وتطوره إلى القرن السّادس- كلية الآداب- تونس-ط2-1994-ج2- ص 494.

[13]- العمري محمد- البلاغة العربية. أصولها وامتداداتها- أفريقيا الشرق- بيروت /الدّار البيضاء-المغرب- 1999-ص 180

[14]- تامر سلوم- نظرية اللّغة والجمال في النّقد العربي- دار الحوار للنشر - اللاذقية- سوريا- ط1-1983- ص112

[15]- عبد المطلب محمد- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني- المصرية للنشر- القاهرة- ط1- 1995- ص53

[16]- عبد القاهر- السّابق- ص3

[17]- عبد القاهر-نفسه- ص392/391

[18]- عبد القاهر- نفسه - ص 81

[19]- تامر سلوم - السّابق - ص 123

[20]- ينظر: محمد عمر الصماري- النّحو والنّظم عند الجرجاني- أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني- منشورات كلية الآداب- جامعة صفاقس- تونس-1998 - ص 19

[21]- سورة هود. الآية 44

[22]- عبد القاهر- السّابق- ص 46/45

[23]- ينظر: سامي العتلي- النّقد التّطبيقي في القرن الخامس الهجري.(مخطوط رسالة ماجستير) - كلية الآداب- جامعة قسنطينة- 2008/2009- ص 66

[24]- ينظر: تامر سلوم - السّابق- ص 114

[25]- محمد عبد المطلب – البلاغة والأسلوبية – دار نوبار للطباعة- القاهرة- ط1-1994- ص 48

[26]- عبد القاهر- السّابق- ص 81

[27]- عبد القاهر- نفسه - ص 82

[28]- عبد القاهر- نفسه - ص 82

[29]- عبد القاهر- أسرار البلاغة-تح: محمود محمد شاكر- دار المدني- جدة / مطبعة المدني- القاهرة- ط1-1991-ص4

[30]- ينظر: محمد مندور- النّقد المنهجي عند العرب- دار نهضة مصر للطباعة- دط -1996م - ص 339/338

[31]- سورة البقرة ، الآية 96

[32]- عبد القاهر - السّابق- ص 288

[33]- عبد القاهر- نفسه- ص 350

[34]- ينظر: مازن المبارك- الموجز في تاريخ البلاغة- دار الفكر- بيروت- 1968م- ص 94

[35]- عبد القاهر- السّابق- ص352/351

[36]- عبد القاهر- دلائل الإعجاز- ص 393

[37]- عبد القاهر- نفسه- ص 524

[38]- عبد القاهر- أسرار البلاغة- ص 43

[39]- عبد القاهر- دلائل الإعجاز- ص 69

[40]- رجاء عيد- السّابق- ص 396

[41]- سورة مريم- الآية4

[42]- تامر سلوم- السّابق - ص 119

[43]- عبد القاهر- السّابق - ص 81

[44]- حمادي صمود- السّابق - ص417

[45]- حمادي صمود - نفسه - ص 474

[46]- عبد القاهر- السّابق- ص 193

[47]- حمادي صمود- السّابق - ص 474

[48]- ينظر: حمادي صمود- نفسه- ص 265/263

[49]- حمادي صمود- نفسه- ص 408-410

[50]*- أكثر الدّارسين يرجحون أن كتاب (أسرار البلاغة) أسبق من (دلائل الإعجاز)، ولهم في ذلك تفسيرات مختلفة، ويكاد رأي إحسان عباس في هذه الأسبقية التّي رجحها للدلائل يكون متفردا فيه.

[51]- إحسان عباس- تاريخ النّقد الأدبي عند العرب- دار الشروق- الأردن- ط1،الإصدار4- 2006م- ص 436/435

[52]- حمادي صمود- السّابق- 412

[53]- ينظر: حمادي صمود- نفسه- ص 415/414

[54]- عبد القاهر- السّابق- ص 464

[55]- الرَّافعي مصطفي صادق- إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية- دار الكتاب العربي- بيروت- ط8-1425ه/2005م- ص109